المواقف الشعرية لأبي طالب

والد سيدنا عليّ رضي الله عنه

بقـــلم

الدكتور : إ . ك . أحمد كوتي

الأستاذ في قسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت

كيرالا / الهند

قد يستغرب بعض الناس عنوان هذه المقالة وهم يتساءلون : هل كان أبو طالب بن عبد المطلب عم النبي ﷺ ووالد سيدنا عليّ رضي الله تعالى عنه شاعراً ؟ فنقول : نعم كان شاعراً ، بل كان من أشعر قريش ، وأفصحهم لغةً ، وأحسنهم أُسلوباً ، وأغزرهم معنىً . وإن القصائد والأبيات التي رُويت له ولاتزال محفوظةً في بطون كتب الثقات في التاريخ والسيرة والأدب تثبت هذه الحقيقة إثباتاً لايدع مجالاً للشكّ . على أن هناك من يشكون ـ كما يشكون في كل شيء ـ في كون أبي طالب شاعراً وفي صحّة الأشعار المنسوبة إليه .

وليس أدلَّ على أن أبا طالب كان شاعراً مما قال عنه ذلك الرائد في مجال نقد الشعر محمد بن سلاَّم الجمحيّ : « وكان أبو طالب شاعراً جيّد الكلام[1] » ولا أُنكر أنه من الممكن أن بعض الأشعار التي نجدها منسوبة إلى أبي طالب في كتب التاريخ والأدب مشكوكٌ في صحتها ، أو مُختلّة في روايتها . ويُلاحظ هنا أنَّ هذه الظاهرة ليست مقتصرة على أبي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

طالب بل تطالعنا في أكثر أشعار أهل الجاهلية وصدر الإسلام . فمن الخطأ أن نزعم معتمدين على هذه النظرية التي لم تثبت بعدُ أنّ الأشعار المنسوبة إلى أبي طالب كلها منحولة وأنه لم يكن شاعراً قطّ .

ماهي المواضيع والفكر التي تتضمنها أشعار أبي طالب ؟ هي حبّه الشديد وحنانه العميق ورعايته البالغة لابن أخيه محمد ﷺ ، ومُعاداة قومه قريش لهُ ، ودفاع عمه عن نفسه ودينه الجديد الذي جاء به . فتمثل تلك الأشعار تمثيلاً صادقاً ماهو مشهور عن مَوْقِف أبي طالب من ابن أخيه محمد ﷺ ودينه ، وهو موقف المناصرة والمعاونة والحماية للنبي ﷺ والإقرار بصدقه وأمانته والاعتراف بكون دينه حقاً ، مع عدم الايمان به والاعتناق له لأنه كان يخاف الملامة من قومه إنْ أسْلم[٢] .

اذا تتبعنا الأشعار التي قالها أبو طالب في الاسلام[٣] رأينا مواقف عديدة وقفها في الدفاع عن ابن أخيه ودينه الحق . وهذا بيان مجمل لتلك المناسبات التاريخية التي قال فيها أبو طالب أشعاره .

سفارة قريش إلى أبي طالب وشعره فيها :

إن أول موقف شعري وقفه أبو طالب في الدفاع عن ابن أخيه محمد ﷺ كان في أوائل دعوة الإسلام في مكة المكرمة . وسياقه أنه لما رأى صناديد قريش كأبي لهب وأبي سفيان وأبي جهل أن أمر محمد في انتشار ، وعدد المسلمين في ازدياد كُل يوم ، خافوا من ذلك خوفاً شديداً ووجدوا فيه خطراً عظيماً على مكانتهم وكيانهم فحاولوا محاولات شتى ليوقفوا انتشار الدين الجديد بين أهل مكة ، فلم يُغْنِ ذلك عنهم من محمد ﷺ شيئاً . هنالك عَظُم الأمرُ على قريش وحزَّ في صدورهم ، وقلّبوا وجوه الرأي فيما يفعلون ، فاختاروا أن يسلكوا خطّة اللين والإقناع . ومشى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

رجالٌ من أشراف قريش إلى أبي طالب يطلبون منه أن يصدَّ ابن أخيه عن سبّ آلهتهم وعيب دينهم وتسفيه أحلامهم وتضليل آبائهم . ولكن أبا طالب ردّهم خائبين . فمشوا إلى أبي طالب مرة أخرى . فلم ينجحوا في هذه السفارة أيضاً . ثم ذهبوا إلى أبي طالب مرة ثالثة في محاولة منهم لاستئصال هذه الفتنة التي ظهرت على يد محمد ، فقالوا له : « يا أبا طالب ، إن لك سِنّاً وشرفاً ومنزلةً فينا ، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنّا . وإنّا والله لانصبر على هذا ، من شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفَّه عنا ، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين » . وعظُم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ، ولم يطب نفساً بإسلام ابن أخيه وخذلانه ، فبعث إلى محمد ﷺ فقصَّ عليه رسالة قريش ثم قال له : « فأَبْقِ عليَّ وعلى نفسك ، ولا تُحمّلني من الأمر مالا أطيق » . فلما سمع رسول الله ﷺ هذه الكلمات ظنَّ أن عمه ضَعُف عن نصرته والقيام معه فهو خاذله ومُسْلِمه . فقال بكل قوة وعزيمة ، وهو مختنق بالدموع : « ياعم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » . فاهتز الشيخ لِما أحَسّ في جواب محمد من القوة القدسية والإرادة السامية ، فنادَى محمداً أنْ أقبلْ . فلما أقبلَ قال له : « اذهبْ يابن أخي فقُل ما أحببتْ ، فوالله لا أُسْلِمك لشيءٍ تكرهه أبداً »[٤] .

فحينئذ قال أبو طالب لرسول الله ﷺ أبياتاً يؤكد فيها حمايته لابن أخيه مادام حيّاً ويقر بأمانته وصحة دينه بحيث يُزيل كلّ قلق من قلب النبي ﷺ ويملؤه أملاً ، ويزيده ثباتاً وشجاعة . وإليكم تلك الأبيات[٥] :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والله لَن يَصِلُـوا إليـــك بجمعهم حتى أُوَسَّـــدَ في التراب دفينـــا
فامْضِ لأَمْرِكَ ما عليك غضاضة أبشِرْ وقرّ بـذاك منـك عيـونـا
ودَعـوْتَني وعَلِمْتُ أنـكَ نـاصحي فلقـد صـدقتَ وكنتَ قِدمُ أمينا
وعرضْتَ دينـاً قـد عرفْتُ بـأنـه مِنْ خَيْر أَدْيـان البريـة دينـا
لـولا الـلامـةُ أو حِـذاري سُبّـةً لـوجـدْتَني سَمْحـاً بـذاك مُبينـا

وهذه الأبيات نقلها ابن كثير في تاريخه من رواية ابن اسحاق . ولكنها لم تَرِدْ في سيرة ابن هشام وهذا لايجعلها موضع الشك لأن معانيها توافق مابيّنا قبلُ من موقف أبي طالب المشهور تُجاه محمد ﷺ ودينه .

قصيدة أبي طالب اللامية في استعطاف قُريش :

والموقف الشعري الثاني الذي نرى أبا طالب يقفه في الدفاع عن النبيّ ﷺ قصيدتُه اللامية المشهورة . وهي من أبرع القصائد العربية وأجلها وهي التي خلّدت اسمَ أبي طالب كشاعر نابغ مفلق في صفحات الأدب العربي . وسبب إنشاده تلك الأبيات ما قامت به قريش بعد أن أخفقت في مسعاها السلمي ، من اللجوء إلى التعسف والعنف ، فخاف أبو طالب شرّهم ومكرهم ، وقال قصيدته اللامية المشهورة[٦] التي يستعطف بها قريشاً ويتودّد أشرافهم ، ويخبرهم مع ذلك أنه لايُسْلِمُ لهم رسولَ الله ولايتركه لشيءٍ أبداً حتى يهلك دونه .

قد تشكك البعض في صِحّة هذه القصيدة كما يقول ابن هشام نفسه بعد نقله لها في سيرته : « هذا ما صحّ لي من هذه القصيدة ، وبعض أهل العلم بالشعر يُنكر أكثرها » .[٧] وإني أظنُّ أن طول هذه القصيدة ـ وهي أربعة وتسعون بيتاً في سيرة ابن هشام بعد تركه أبياتاً غير

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

صحيحة ـ هو الذي جعل بعض الناس يشكون في صحّتها . فإنّ ابن هشام لم يُنكر القصيدة كُلّها ، بل أوْرَدَ الأبيات التي هي صحيحة في رأيه . وهذا هو موقف محمد بن سلاّم أيضاً من هذه القصيدة . فيقول فيها[٨] :

« وكان أبو طالب شاعراً جيّد الكلام ، وأبرع ماقال قصيدته التي مدح فيها النبي ﷺ وهي :

وأبيض يُسْتَسْقَى الغمامُ بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وقد زيد فيها وطُوِّلت . رأيتُ في كتاب كتبه يوسف بن سعد صاحبنا منذ أكثر من مائة سنة[٩] : « وقد علمتُ أن قد زاد الناسُ فيها فَلاَ أدري أينَ منتهاها . وسألني الأصمَعيُّ عنها فقلتُ : صحيحة جيدة . قال : أتدري أين منتهاها ؟ قلتُ : لا أدري » .

فيظهر من هذا أن ابن سلاّم لم يُنكر صحّة قصيدة أبي طالب كُلّها ، وانما بيّن أن بعض الزيادة والتطويل حدث فيها .

وأما ابن كثير فإنه لم ينقلها في تاريخه فقط ، بل أعلن اعتقاده أن نسبتها إلى أبي طالب صحيحة لاسبيل إلى أن يُشكك فيها ، وأثنى عليها أجمل الثناء . وإليك تعليق ابن كثير : « هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً لا يستطيع يقولها إلاّ من نُسبت إليه ، وهي أفحل من المعلقات السبع وأبلغ في تأدية المعنى فيها جميعها »[١٠]

ويضيق بنا المقام عن نقل هذه القصيدة الغراء كلها . فلذلك نكتفي بنظرة خاطفة في أبياتها :

فمطلع القصيدة :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولمـتـــا رأيتُ القـــوم لا وُدّ فيهم وقـد قطعوا كُلّ العُرى والوسـائل
وقد صـارحونـا بـالعـداوة والأذى وقـد طـاوعوا امر العـدو المـزايـل

وفي بعض الأبيـات التي تليهـا يَتَعـوذ أبـو طـالب بحرم مكـة وأهلهـا من أولئك الناس الذين يقصدون السوء به وبأهله . ومن تلك الأبيات :

أعوذُ برب النـاس من كُل طـاعن علينـا بسُـوءٍ أو مُلـحٍ بيـاطـلِ
ومن كاشـحٍ يَسْعَى لنـا بمعيبـة ومن ملحق في الدين مـالم نحـاول
وثـورٍ ومَنْ أرْسَى ثبيراً مكانَـــهُ وراقٍ ليرقى في حراء ونـــــازل
وبالبيت حق البيت من بطن مكـة وبـــالله إن الله ليس بغـــافـل

ومن الحُرَم التي يتعوذ بهـا الكعبـة ، والحجر الأسْوَد ، والسعي بين الصفـا والمروة ، وحـجّ النـاس ببيت الله ، وعرفـة ، والمـزدلفـة ، ومنى ، والجمرة وغيرهـا من الشعـائر المقدّسـة ، ثم يصرح أبو طـالب في كلمـات واضحـة لاتدع مجالاً للشكِ بأنه لا يُسلم محمداً لأعـدائـه ولايتركـه أبداً حتى يهلـك دونه :

كَذَبْتُمْ وبيت الله نُبْزَى[١١] مُحمـداً ولّما نُطـاعنْ دونـــه ونُنـــاضـل
ونسلمـــــه حتى نُصرّع حـولـــــه ونـذهـل عن أبنـائنـا والحـلائـل

ثم يَمْدَحُ ابن أخيه بكونه برّاً صـالحـاً يُستسقى بـه المطر وملجـأً لليتـامى والأرامل وهو من أحسن ما مُدِحَ به رَسُول الله ﷺ :

وأبيضَ يُستسقى الغمام بـوجهـــه ثمـال اليتـامى عِصْمَـةٌ لـلأرامـلِ

ويُلاحظ هنا أن هذا الأمر الذي ذكره أبو طالب في هذا البيت قد تحقق واقعيـاً في حيـاة النبي ﷺ بعـد سنـوات وهـو بـالمدينـة ، كما رواه ابن هشام[١٢] :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

« وحدّثني من أثق به قال : أقحط أهل المدينة فأتوا رسول الله ﷺ فشكوا ذلك إليه فصعد رسول الله ﷺ المنبر فاستسقى فما لبث أن جاء من المطر ما أتاه أهل الضواحي يشكون منه الغرق . فقال رسول الله ﷺ : « اللهم حوالينا ولا علينا » ، فانجاب السحاب عن المدينة فصار حواليها كالإكليل . فقال رسول الله ﷺ : لَوْ أدرك أبو طالب هذا اليوم لسرّه ! فقال له بعض أصحابه : « كأنك يارسول الله أردت قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل »

قال : « أجل » .

قال السُهيلي في الروض الأنف : « فإن قيل كيف قال أبو طالب : « وأبيض يستسقى الغمام بوجهه » ولم يره قطّ استسقيَ به ، انما كانت استسقاءاته عليه الصلاة والسلام بالمدينة في سفر وحضر ، وفيها شوهِدَ ما كان من سرعة إجابة الله لهُ ؟ فالجواب : ان أبا طالب قد شاهد من ذلك في حياة عبد المطلب مادلّهُ علىٰ ماقال »[١٣] . وذلك أنه تتابعت على قريش سنون أهلكتهم . فبينا هم كذلك سمعت رقيقة بنت أبي صَيْفي بن هاشم هاتفاً يَصرخ في المنام : يامعشر قريش ، إن هذا النبي المبعوث قد أظلتكم أيامه ، فحيَّهَلا بالحيا والخصب . ثم أمرهم أن يصعدوا جبل أبي قبيس ليستسقي عبد المطلب بالنبيّ ﷺ ففعلوا واستسقى عبد المطلب ومعه رَسُول الله وهو غلام[١٤] .

ويتضح من كُل هذا أن أبا طالب لم يكن إلا صادقاً فيما وصَف به ابن أخيه في هذا البيت ، سواءً كان ذِكْراً لِما كان أو تنبؤاً بما سيكون .

وفي أبياتٍ تليها يذكر أبو طالب من عاداه وخذله من أشراف العرب ويلومهم لخذلانهم ومعاداتهم له في هذه الأزمة . ثم يعود لمدح محمد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ﷺ . ومن تلك الأبيات :

فلا زالَ في الدنيا جمالاً لأهلها وزيناً لمنْ والاه ربُّ المشاكل
فمن مثله في الناس أي مؤمل اذا قاسه الحُكامُ عند التفاضُل
حليم رشيدٌ عادل غير طائش يُوالي إلاهاً ليسَ عنه بغافل

ثم يقول انه لو لم يخش الملامة من العرب لاعتنق دين محمد :

فو الله لولا أن أجيء بسُبَّةٍ تجر على أشياخنا في المحافل
لكُنّا اتّبعناه على كل حالة من الدهر جداً غير قول التهازُلِ
لقد علموا أنّ ابننا لامكذَّب لدينا ولايُعنى بقول الأباطل

ومن هذه النظرة الخاطفة في قصيدة أبي طالب اللامية يتبين لنا ماقدّمنا من موقف أبي طالب من ابن أخيه ودينه كما يتبين لنا بوضوح الأزمة الشديدة التي كان يجتازها الدين الناشيء في تلك الفترة القاتمة .

الهجرة الى الحبشة وأبيات أبي طالب فيها :

نرى أبا طالب يقف موقفاً شعرياً آخر يؤيّد به قضية المسلمين ونبيّهم ، وذلك في أثناء هجرة المسلمين إلى الحبشة في السنة الخامسة من النبوَّة . ولما اطمأن أصحاب محمد وأمنوا في الحبشة في جوار ملكها النجاشي وجدت قريش في ذلك خَطراً لهم عظيماً فائتمروا فيما بينهم فقرروا أن يبعثوا عمرو بن العاص بن وائل ، وعبد الله بن أبي ربيعة سفيرين إلى النجاشي يطلبان منه أن يردّ المسلمين المهاجرين إلى مكة ، فسارا إلى الحبشة لهذه المهمة .

وقد روي ، بهذه المناسبة أبياتٌ لأبي طالب[١٥] قالها حين بعثت قريش سفيريها إلى النجاشيّ وهو يناشد فيها ملك الحبشة أن يُدافع عن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

المهاجرين ويحسن جوارهم وألا يردّهم إلى مكة . ومن هذه الأبيات :

وهَلْ نالت افعال النجاشيّ جعفراً وأصحابه أوْ عاق ذلك شاغبُ
تعلم أبيت اللعن أنك ماجد كريم فلا يشقى لديك المجانبُ

والذي دفع أبا طالب ، بوجه خاص ، أن يقول هذه الأبيات حاضّاً فيها النجاشيّ على إجارة المهاجرين هو أن ابنه جعفر بن أبي طالب كان منهم كما يدل عليه البيت الأول من البيتين المذكورين آنفاً . وقد صدق ظنّ أبي طالب في النجاشي فإنه أبى أن يردّ المهاجرين إلى مكة ورجع رسولا قريش يجران أذيال الخيبة[١٦] .

أمر الصحيفة وأشعار أبي طالب :

من المواقف الشعرية التي وقفها أبو طالب في الدفاع عن ابن أخيه ما كان بمناسبة مقاطعة قريش لمحمد ﷺ وأهله وحصارهم في شعب أبي طالب . وذلك أن قريش لما رأوا أن دين محمد يزيد قوة وانتشاراً وأن المسلمين اعتزوا باسلام بعض الشخصيات البارزة كحمزة بن عبد المطلب وعُمر بن الخطاب وأن المهاجرين إلى الحبشة وجدوا الأمن والقرار عند النجاشيّ ، ائتمروا وفكّروا فيما يفعلون في محمد وأصحابه فاتفقوا على أن يقاطعوا بني هاشم وبني المطلب مقاطعة تامة لاينكحونهم ، ولاينكح إليهم ،ولايبيعونهم شيئاً ، ولايبتاعون منهم ، ولايقيمون أي علاقة بهم ، فكتبوا ذلك في صحيفةٍ وتعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علّقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم ، فانحازت بنو هاشم إلا أبا لهب ، وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعب من شعاب الجبل بظاهر مكة يسمى بشعب أبي طالب . فظلّ هذا الحصار ثلاث سنوات متتابعة ، فقاسى محمد ﷺ وأصحابه خلالها مالا يوصف من المشقات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والحرمان .

ولما أجمعت قريش على مقاطعة محمد ﷺ وأهله وتعاهدوا عليها ، قال أبو طالب أبياتاً[١٧] يستنكر فيها صنيع قريش ويعلن لهم أن أهل محمد لايسلمونه ولايتركونه أبداً وأنهم يقاتلون دونه قتالاً شديداً.ومطلع القصيدة :

ألا أبلغا عني على ذات بيننا لؤيّاً وخُصّا من لؤيٍّ بني كعبِ

ثم يقول إن محمداً نبي من الأنبياء كموسى عليه السلام وانه محبوب عند الله، وعند الناس :

الم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كموسى خُطَّ في أول الكُتْبِ
وانّ عليه في العباد محبة ولا خير ممّن خصَّه الله بالحُبِ

ثم يذكر الصحيفة التي كتبتها قريش لمقاطعة محمد وأهله ، ويقول إنها ستكون نحساً وشُؤْماً عليهم كناقة صالح عليه السلام على قومه :

وأن الذي الصقتُم من كتابكم لكم كائن نحساً كراغية السقبِ[١٨]

ويصرح أبو طالب أنه وأهله لايسلمون محمداً لقريش أبداً :

فلسنا وربّ البيت نسلم أحمداً لعزّاء من عضّ الزمان ولاكربِ

وفي الأبيات التالية يقول إن قومه بني هاشم يُدافعون عنه بأي ثمن ، ويقاتلون دونه قتالاً لايملّونه ومنها :

أليسَ أبونا هاشمٌ شدَّ أزرَهُ وأوصى بنيه بالطعانِ وبالضربِ
ولَسْنا نَملّ الحربَ حتى تملّنا ولانشتكي ماقد يَنوبُ من النكبِ

ثم نرى أبا طالب مرة ثانية يقول أبياتاً في الموضوع ذاته . وكان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ذلك حينما نُقِضَتْ تلك الصحيفةُ الخاطئة . وخلاصة خبر نقض الصحيفة أنه كان بين قريش من يعطفون على محمد ﷺ وأهله حين حوصروا في شعب أبي طالب ، وهم هشام بن عمرو ، وزهير بن أبي أمية ، والمطعم بن عديّ ، وزمعة بن الأسود ، وأبو البختري بن هشام ، فاجتمعوا سرّاً وتعاهدوا على القيام في أمر الصحيفة حتى ينقضوها . ثم ذهبوا في الغدِ إلى الكعبة فشقوا الصحيفة المعلقة عليها ، وحينئذٍ وجدوا أن الأَرضة قد أكلت الصحيفة إلا « باسمك اللهم »[١٩] فهكذا نقُضت الصحيفة وانتهى حِصار محمد ﷺ وأهله في الشعب . وقد سُرّ بذلك أبو طالب وقال أبياتاً[٢٠] يمدح فيها أولئك النفر الذين قاموا بنقض الصحيفة . وفي مطلع القصيدة يتساءل أبو طالب هل اتى خبر نقض تلك الصحيفة الظالمة المفسدة إلى الذين هاجروا من المسلمين إلى الحبشة :

الا هَلْ أَتى بحريَّنا صُنع ربنا ... على نأيهم والله بالناس أَرودُ[٢١]
فيخبرهم أنّ الصحيفة مُزِّقَتْ ... وان كل مالَم يرضَهُ الله مُفسَدُ

وفي البيتين التاليين يذكر اجتماع هشام بن عمرو وزملائه وتعاقدهم على القيام بنقض الصحيفة :

جزى الله رَهطاً بالحجونِ تبايعوا ... على ملإٍ يهدى لِحَزْم ويرشد
قُعوداً لدى خطم الحجونِ كأنهم ... مقاولة بل هم أعزّ وامجدُ[٢٢]

وهذان البيتان يذكران المكان الذي اجتمعوا به ليلاً وتعاقدوا وهو « خطم الحجون » . فالحجون موضع بأعلى مكة وخطمه هو مقدّمه .

وهذا البيت يفيد بأنهم فعلوا ذلك سِرّاً في الليل :

قضَوا ما قَضوا في ليلهم ثم أصبحوا ... على مهلٍ وسائر الناس رُقَّدُ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ورُويَ أيضاً لأبي طالب ثلاثة أبيات [٢٣] قالها في أمر الصحيفة وأكل الأرضة مافيها من ظلم وقطيعة رحم :

وقد كان في امرِ الصحيفة عبرة ... متى مايخبر غائب القوم يعجب
محا الله منهم كفرهم وعقوقهم ... ومانقموا من ناطق الحق معرِب
فأصبح ما قالوا من الأمرِ باطلاً ... ومن يختلق ما ليس بالحق يكذب

فيتضح مما تقدم من البحث أمور ثلاثة : أن أبا طالب كان شاعراً نابغاً لا داعي للتشكك في شاعريته ، وأنه في شعره يصوّر بصدق موقفه من ابن أخيه ودينه ، وهو موقف الحماية لمحمد ﷺ والإقرار بصدقه في دعوته إلى الله مع عدم الإيمان بتلك الدعوة في نفس الوقت ، وأنه يؤرخ في شعره للعصر الذي عاش فيه ، والحوادث التي عاصرها .

فهكذا نرى أن لِشعر أبي طالب من الأهمية الأدبية والتاريخية ما يضمن له الخلود في الأدب العربي ويجعله جديراً بالدراسة والبحث .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المراجع والهوامش

١ ـ طبقات الشعراء تأليف محمد بن سلام الجمحي بمطبعة بريل في مدينة ليدن سنة ١٩١٣ ، ص ٦٠ .

٢ـ هناك اختلاف في إسلام أبي طالب . فيزعم البعض ، خصوصاً الشيعة انه مات على الإسلام . والرأي الأغلب هو أنه مات على الكفر . (انظر لبحث هذا الموضوع كتاب البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ١٢٢ ـ ١٢٦)

٣ ـ وأما الأشعار التي قالها أبو طالب في الجاهلية فنتركها هنا لأنها ليست جديرة بالذكر .

٤ ـ السيرة النبوية لابن هشام ، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شبلي ، الطبعة الثالثة ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ج ١ ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

٥ ـ البداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي ، الطبعة الأولى ١٩٦٦ مكتبة المعارف بيروت ، ج ٣ ص٤٢ . [جاءت الأبيات المذكورة في سيرة ابن اسحاق (ط المغرب) : ١٣٦ ، (ط دمشق) : ١٥٥ ، وفي كتاب دلائل النبوة للبيهقي / باب قول الله عز وجل ﴿ ياأيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك ... ﴾ ، وفي ديوان شيخ الأباطح أبي طالب ، جمع أبي هفان : ١٢ ـ ١٣ ، وأوردها الزمخشري والثعلبي في تفسير الآية الكريمة : ﴿ وهم ينهون عنه وينأون عنه ﴾ ، وانظر أزهار الرياض للمقري ٣ : ٧٣ ـ ٧٤] [لجنة المجلة] .

٦ ـ سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٩١ ـ ٢٩٩ ، البداية والنهاية ج ٣ ص ٥٣ ـ ٥٧ ؛ خزانة الأدب لعبد القادر بن عمر البغدادي ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨٧ هـ ـ١٩٦٧ م ج ٢ ص ٥٩ ـ ٧٥ .

٧ ـ سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٩٩ .

٨ ـ طبقات الشعراء ص ٦٠ .

٩ ـ يبدو أن هذا النص محرف لأنه غير معقول أن يصاحب من ألف كتاباً منذ أكثر من مائة سنة ولعل صوابه « وهي أكثر من مائة بيت » [النص كما جاء في المطبوع صحيح لاتحريف فيه . وقد جلا معناه بأحسن بيان أستاذنا الكبير الأستاذ محمود محمد شاكر ، انظر كتاب طبقات فحول الشعراء / تح الأستاذ محمود محمد شاكر ، ١ : ٢٤٤ ـ ٢٤٥] [لجنة المجلة] .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

١٠ ـ البداية والنهاية ج ٣ ص ٥٧ .

١١ ـ « تُبْـزَى محمـداً » أراد « لانبزى » حـذف لا من جـواب القسم وهي مرادة ، أي لانَسلبه ولا نُغلب عليه . وكذلك الأمر في « ونسلمه حتى نصرع حوله » .

١٢ ـ سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٠٠ .

١٣ ـ نقلاً عن خزانة الأدب ج ٢ ص ٦٨ .

١٤ ـ تفاصيـل هـذا الخبر في كتـاب الطبقـات الكبير تصنيف محمـد بن سعـد كاتب الواقدي ، عُني بتصحيحه أدوارد سخو ، طبع مصوراً عن كتاب طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبعة بريل سنة ١٣٢٢ هجريـة دار المعرفـة للطبـاعـة والنشر ، بيروت لبنـان ج ١ ق ١ ص ٥٤ ، ٥٥ .

١٥ ـ سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٥٧ ؛ البداية والنهاية ج ٣ ص ٧٧ .

١٦ ـ تفاصيل هذا الخبر في سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٥٦ ـ ٣٦٢ .

١٧ ـ سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٧٧ ـ ٣٧٩ ؛ البداية والنهاية ج ٣ ص ٨٧ .

١٨ ـ كراغية السقب : هو من الرغاء ، وهو اصوات الإبل . والسقب : ولـد النـاقـة . وأراد به هنا ولد ناقة صالح عليه السلام .

١٩ ـ انظر تفاصيل هذا الخبر في سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٤ ـ ١٦ .

٢٠ ـ سيرة ابن هشـام ج ٢ ص ١٧ ، ١٨ ؛ البـدايـة والنهـايـة ج ٣ ص ٩٧ ، ٩٨ . وبعض هـذه الأبيـات تـوجـد في كتـاب نسب قريش لأبي عبـد الله المصعب بن عبـد الله بن المصعب الزبيري ، نشره وصححه وعلق عليه أ . ليفي ـ بروفنسال ، دار المعـارف ١٩٥٣ ، ص ٤٣١ ؛ وفي كتاب الاستيعـاب في معرفـة الأصحـاب لابن عبـد البر الطبعـة الأولى حيـدر آبـاد ١٣١٨ هـ ، ج ٢ ص ٩٣ .

٢١ ـ « البحري » هنـا : من كان هـاجر من المسلمين إلى الحبشـة في البحر . وأرود : أرفق .

٢٢ ـ المقاولة : الملوك .

٢٣ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير ، دار صادر ـ دار بيروت ، بيروت ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م . ج ٢ ص ٩٠ . [الأبيات الثلاثة جزء من قصيدة رواها أبو هفـان ، انظر ديوان أبي طالب : ١٦ ـ ١٧] [لجنة المجلة] .

أحمد كوتي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net